الجزء الخامس
الفصل الثامن

رن جرس الهاتف، ونوديت سلمى.. كانـت المتحدثـة احـدى الراهبـات، وأخبرتها أن أختها رجاء في الدير، وقد جاءت برفقة الرئيسة وبعض الراهبات..

أحست سلمى كأنما قلبها ينتزع من بين جنبيها انفعالا.. ولكنه انفعال تطغـي عليه الكآبة.. ليتها لم تأت.. فالأمور في المصح ليست على ما يرام.. ثورات عند الرجال والنساء، وانقسامات حزبية وشكاوى ضد الطبيب والمسؤولين في المصح، وعرائض تكتب ويطلب الى سلمى أن تمضي عليها فترفض، ورسائل غفل تردها تحذرها من تأييد هذا أو رفض ذاك، وتكشف لها ما يجـري وراء الـستار مـن فضائح ومخزيات وسرقات.. وسلمى في شغل عن كل هذا.. رباه لماذا يزجـون بها في ضجيجهم ولا يتركونها في أمنها؟ انها لترى من النفاق والتملّق والتحيز في سبر الواقع وشهادات الزور ما جعلها تشيح بوجهها، وترى الغنيمة في هروبهـا الى عزلتها والترفع عن ولوج الغارة الشعواء..

ولكنهم لم يتركوها.. الطبيب الجديد يتهمها أنها هي صاحبة تلك المقالة التي نشرت في ذمه.. وتنظر اليه شذهة ثم تضحك بهمهمة ساخرة أسية:

- ثق أنني لا ألوث قلمي بهذه الصغائر يا دكتور! لو شئت مهاجمتك لمـا رحت أستتر وأطعن من الخلف كالأنذال.. بل أواجهك فـي صـراحة، وكسبت فضلا عن هذا صداقتك.. فماذا بالله آخذ عليك؟
- ربما ذلك الحادث..
- أتعني الخطأ الذي وقعت فيه؟ كلاّ يا دكتور لست من الغبـاء والتحامـل لآخذه عليك، وقد رأيت بعيني أشهر الأطباء يخطئون ولا يبلغون ذراهم الاّ على عدد من الضحايا.. على كل حال لم يبلغ الحادث هـذا المـدى وأنقذ المريض!.. بان الإطمئنان على وجهه القلق وقال:
- فيم اذن كان نزولك الى دمشق وذهابك الى وزارة الصحة؟

- ذهبت مرتين، مرة لأشتري مذياعا صـغيرا.. وأخـرى لأنقـل أختـا أصغرمني من مصح في لبنان لتحلّ مكاني.. وأأسفاه لهذا الجـو الـذي أتركها فيه.. كلا لن أسمح لها بالقدوم.. فما هذا مكان يصلح أن يستشفي فيه الإنسان!..
- لا تغضبي يا آنسة سلمى.. لقد بدأت أفهمك..
- شكرا لك.. انني سريعة النسيان لما قد ينالني.. أما لو جوبهت أختي بمثل هذا فلن أغفره.. فكن على حذر! وضحكت وهي تحـاول الإنـصراف، فاستبقاها قائلا:
- انني أثق بك.. ما تظنين السبب فيما لقيت من العداء منـذ قـدومي مـن البعض؟

وتريثت سلمى قليلا وعضت على شفتها السفلى ورفعت اليه عينيها:

- شيء بسيط يا دكتور.. لقد رأوا الحيرة في عينيك!

استقبلت رجاء مضطربة الأنفاس.. تغيرت منذ تركتها بـشكل ملحـوظ، ولولا تلك الرسائل المتبادلة بينهما لشعرت معها بحرج وليد الدهشة، ولكنها تعلم أن رجاء ان تغيرت هيأتها تغيرا ملحوظا فلم تتغير نفسيتها.. وضـمتها بلهفة ودموعها تتدحرج على وجنتيها.. وابتسمت وهي تتأملها بإعجاب:

- سألبس منذ اليوم كعبا عاليا حتى لا أبين أختك الصغرى!..

وافتر ثغر رجاء الجميل عن ابتسامة حلوة وطوقت مرة أخرى أختها سـلمى وعيناها الفاتنتان تتألقان بدمع صاف كالبلور:

- بالله أخبريني! لست أفهم شيئا من هذه المعميـات.. مـاذا تفعلـين فـي المستشفى؟

وابتسمت سلمى:

- كنت أنتظرك هناك!.. وتطلّعت غير مصدقة:
- كلاّ، كان حضوري مفاجئا.. لقد انتهزت الرئيـسة فرصـة "رياضـتها" وسألتني فيما اذا كنت قد قررت أخيرا الذهاب الـى دمـشق لتأخـذني

برفقتها.. كنت مترددة ولكنني وجدت نفسي فجأة أحزم أمتعتـي وآتـي معها..

- أين ما مير؟
- انها في الصلاة..
- ومتى وصلتم؟
- بدأنا رحلتنا متأخرات ووصلنا ليلة البارحة.. كان لماامير بعض أعمـال أنجزتها في بيروت..
- ألم يزعجك السفر؟
- كلا، كانت السيارة تسير بهدوء.. وانصرم الوقت وأنا في سبات متوسدة صدرماامير حيث أراحتني في حجرها..

ودخلت ماامير برفقة احدى الراهبات، فنهضت سلمى لاسـتقبالها تـصافحها بحرارة.. وأخذت الرئيسة تستفسر عن صحتها وتضرب على خشب الطاولة مهنئة اياها على العافية، فتنظر اليها رجاء وقد أدركت الأمر الخفي عليهـا، وتهز رأسها ساهمة..

وسمعت سلمى بوق السيارة التي جاءت بها تستعجلها في الخارج فودعـت الرئيسة والراهبة، وأخذت الرئيسة تكرر استعدادها لقبول رجاء في أي وقت ترغب فيه بالعودة ان لم ترتح في مقرها الجديد..

وحين خرجتا التفتت رجاء الى سلمى وقالت بوجوم:

- حدثني قلبي يا سلمى!
- لا تأسي على ما فات.. انتهى الأمر وأنا في كامل قوتي.. قالت سـلمى ضاحكة:
- أتعلمين أن تسريحة شعرك بهاتين الضفيرتين تتوجين بهما رأسك كاكليـل غار على هامة بطل مظفر، تجملك كثيرا؟..

وتقدم السائق يحمل الحقيبة عن سلمى ويودعها صندوق السيارة.. وراحـت الأختان تتحدثان بطرف مما جرى لهما والسيارة تطير بهما علـى طريـق برزة المشجر..

وكانت لحظة سعيدة لسلمى وهي تتأمل رجاء تساوم السائق وتستكثر عليه أن يأخذ زيادة عِما اتفق وسلمى عليه.. انها ترى فيها رجاء المنـاجزة المتقـدة الحيوية، وتهمس لها ببشائر الشفاء..

* * *